أهل الكهف

ملحمه من ملاحم العز التي نشتاق إليها منذ ١٩٧٣

والقرآن الكريم

إهـــــــــــــداء

إلي نسمه الفجر العليل في الصباح البكير علي صفحه حقولنا الخضراء .

إلي شروق الشمس الدافئه علي صفحه نيلنا وبجارنا

إلي ترقرق الفراش وهو يتنقل بين الزهر العليل

إلي هديل الحمام وهو يتهادي علي أبراجنا العاليه

إليك أنت . . . . .

م/وائل قاسم دريهم

احتدمت أشعه الشمس فوق تلك الرؤوس التي تهز بطن الجبل بمعداتها بينما وقف المهندس المسئول عن تلك ألمجموعه وهو يجفف العرق السائل علي جبينه بينما عيناه تراقبان في لهف وإصرار تواصل عمليه التنقيب عن احد كهوف المنجنيز بتلك البقعه من سيناء من عام ١٩٧٥

وقال له معاونه وهو يغالب سطوه الشمس علي رأسه

- أمتأكد أنت من أن هذا المنجم به ما نريد وإلا لما هو مغلق بأطنان من الحجارة هكذا

فاجابه المهندس

- تدل السجلات في الفترة ما قبل النكسة بالإضافة للبحوث أن هذا هو المكان وأنه ولابد أن الإسرائيليين قاموا بسد فتحته حتي لا نعثر عليه أو لإبطائنا وتكليفنا تكلفه زائدة.

وبينما هم في جدالهما إذ بأحد العمال يصيح وقد بدت انفراجه وظهرت كوة من بين تلك الأطنان المغلقة لباب الكهف فأسرع إليه المهندس ومعاونه في لهفه فأشار العامل إلي الكوة وهو يقول

- الغريب أن اول ما انزاح الركام عن تلك الكوة قابلت انفي رائحة زكيه جدا بعكس ما كنت اتوقع من رائحة عفنه مكتومة.

واقترب المهندس من الكوة وأطل منها محاولا سبغ أغوار الكهف من خلالها ولكن دون جدوى ولكنه لاحظ وكما لاحظ كل العاملين أن الرائحة الزكية يزداد أريجها مع الوقت فألقي عليهم المهندس صيحة تشجيع فاندفع العمال في قوه وكأنهم يريدون المزيد من تلك الرائحة ومع اقتراب غروب الشمس كبرت الكوة إلي فتحه كبيره .

ومع تزايد حجم الفتحة تزايد عبير الرائحة الزكية حتي لأنه غطي مسافة واسعة أمام الكهف وأسرع المهندس ومن معه بالدخول إلي الكهف وهم يمنون أنفسهم بنتيجة رائعة لتعبهم ودلف للكهف المهندس ومعاونه وعاملان آخران وهم يتحسسون طريقهم مع قله الإضائه وصاح المساعد موجها حديثه للمهندس

- ما أطيب تلك الرائحة علي عكس ما كنت أتوقع

فسكت المهندس لبرهة وكأنه يفكر ثم قال

- عقلي يحدثني أن تلك الرائحة وكما قرأت رائحة. . .

ولم يكمل جملته فقد تعثرت قدماه بشيء وكاد أن يسقط لولا أن تشبث بمساعده الذي سأله

- ماذا حدث

فقال له

- لقد تعثرت بشيء ما

وأمر المهندس الجميع بالثبات وعدم التحرك وصاح بمن بالخارج ليجلبوا له احد المصابيح فأسرع أحدهم وبعد دقيقه عاد بمصباح وما أن سطع نور المصباح الزيتي في الكهف حتي اتسعت عيون الجميع وانفرجت شفاههم في دهشة لما رأوه أمامهم.

فقد تبين أن ما تعثر به المهندس ما هو إلا جثه ولكنها ليست جثه عاديه أو بالأحري ليست جثه واحده عاديه.

لقد كانت أمامهم ست جثث لست جنود من جيشنا والغريب أنها ما زالت نضره والدماء ما زالت تسيل منها والأغرب أن كل منهم ما زال متشبثا بسلاحه. وتسمر الجميع مشدوهين أمام هذا المشهد لفترة إلي أن قطعه المهندس قائلا

- الآن تأكدت لمن تلك الرائحة الزكية

ثم أمر مساعده بسرعة إبلاغ الإدارة بالقاهرة بما وجدوه باللاسلكي فأسرع الأخير بينما وقف المهندس متأملا لتلك الوجوه

النضرة والتي كسي الضياء وجهها بينما هي متشبثة بسلاحها وكأنها تأبي أن تتركه وتمني لو انه كان يحمل كاميرا ليلتقط لهم صورا ولكنه لاحظ أن احدهم ممسكا بإحدى يديه ما يشبه المذكرة فمد المهندس يده إليها بعد أن فض يد الجندي الممسك بها برفق وبدأ يستطلع ما بها فإذ بها يوميات خطها الجندي لما قد حدث من يوم الخامس من أكتوبر إلي الثامن عشر من نفس الشهر من عام ١٩٧٣ . وهنا دخل مساعده قائلا له

- إن الإداره في مصر قد أبلغت السلطات التي أمرت علي الفور بألا يمس أحد المكان لحين حضور مسئولين من قبل الجيش.

وبالفعل أمر المهندس الجميع بأن يغادروا المكان بينما ظل هو ماكثا علي باب الكهف ناظرا للمفكرة التي بيديه وإذ به يقرأ افتتاحيتها وبدأت عيناه تنجرف شيئا فشيئا مع تيار الكلمات وهو يزداد

تعلقا بما كتب بها إلي أن قطعت أفكاره صوت مروحيتان تابعتان للجيش مسرعتان نحو المكان وسرعان ما هبطتا ليقفز منها أحد الضباط برتبه عقيد وخلفه أفراد من اللواء الذي تحت إمرته وما أن قابله المهندس حتي سأله في لهفه

- أين هم أين هم؟؟؟؟؟

فأشار المهندس الي باب الكهف فأسرع العقيد في سرعه وكأن عنفوان الشباب قد عاد إليه ومن خلفه أفراد لوائه والمهندس من خلفهم ومن معه وما أن دخل الجميع من باب الكهف حتي تسمروا ولكن ليس من الدهشه وإنما قد بدا جليا من الدموع التي بدأت تتلألأ في الأعين أنهم تسمروا شوقا ولهفه وهم يرون إخوانهم ممدين أمامهم. وكان أول من تحرك قائدهم العقيد الذي بدأ يتفحص الوجوه ثم انكفأ يقبلهم من جباههم ثم توقف أمام أحدهم والذي يبدوا أنه صاحب النصيب الأوفر من الجراح قائلا له

- لقد وعدت وأوفيت

ثم وجه كلامه لجميع الممدين

- كلكم وعدتم وأوفيتم وجزاكم الله علي صدقكم وعده.

ثم أمر من بإمرته بأن ينقلوا إخوانهم للطائرة فأسرع الجنود بنقل إخوانهم الشهداء وكل واحد منهم يفعل ما فعل قائده من تقبيل جباههم والعجيب أن الأيدي التي كانت ممسكه بالسلاح ولم يستطع احد فكاكها قد لانت وكأنها أدركت أن هؤلاء هم رفاقهم فتركوهم يسحبوا سلاحهم في هدوء ولكن قبل أن يهموا بنقلهم صاح بهم العقيد قائلا :

- توقفوا ! ! ! !

ثم صاح بهم آمرا::

- إنتبـــــــاه ! ! ! ! !

ثم توقف منتصب القامة أمام الأبطال الستة الممددين علي الأرض ملقيا التحية العسكرية فأسرع الجميع بالمثل وتوقفوا لدقيقتان هكذا وقد استسلم بعضهم لعبراتهم فانسالت مبلله لوجنتيهم والغريب أن جميع العاملين علي منجم المنجنيز هذا وعلي الرغم من عدم علمهم من هؤلاء إلا أنه قد انتابهم نفس الشعور وتلألأت بأعينهم الدموع أمام ذلك المشهد المهيب مما دعي بأحد العاملين أن يلقي بسؤال علي الملأ

- من هؤلاء ؟ ؟

فتوقف العقيد ملتفتا للجميع قائلا

- هؤلاء ستة أبطال قلما يجود بهم الدهر خاضوا بمفردهم أعتي المعارك خلف خطوط الأعداء وقد انقطع الإتصال بهم بعدما أصيب اللاسلكي الخاص بهم وبعد انقضاء الحرب حاولنا مرارا الوصول إليهم أو أي أخبار عنهم

دونما فائدة ولم نفطن إلي أنهم مدفونين بداخل الكهف إلا عندما توصلتم أنتم إليهم فشكرا لكم

وهم العقيد بالانصراف إلا أن المهندس استوقفه مشيرا إلي المفكرة التي وجدها معهم قائلا له:

- لقد وجدت هذه مع أحدهم ولقد سمحت لنفسي أن أقرأ بعضها

فتناولها العقيد بسرعة وأسرع يتفحصها بسرعة وقد عادت الدموع لتلألأها من جديد في عيناه .وقال له المهندس

- لكم كنت أتمني أن أنهي قراءتها

توقف العقيد برهة ثم قال له

- لك هذا علي أن تنتهي منها اليوم ففي الصباح الباكر أبعث في طلبها

شكره المهندس في حرارة ووعده بذلك. وانطلقت الطائرتان وهما تحملان جثث ست من الشهداء باتوا داخل أحد الكهوف لا يعلم عنهم أحد لقرابة العامان. وكأنما ما زال الشوق يملأ رفاقهم الأحياء فأبوا أن يمددوا إخوانهم علي الأرض وآثروا أن يبقوهم في أحضانهم. وانزوي المهندس داخل غرفته المعده له وبدأ يطالع صفحات المذكره من جديد وبدأ يقرأ:

اليوم ١٩٧٣/١٠/٥

دخل علينا ذلك العريف وقد انتصبت قامته وأطل من عينيه ذلك البريق الذي نخشاه نحن قبل أعدائنا ووقف يتصفح الوجوه ثم ما لبث أن تقدم إليه رفيقه الذي يعرفه من مده فهما الاثنان رفقاء منذ بدايات النكسة إلي الآن وخاضا معا الكثير والكثير ولم يكن ذلك العريف ليتبادل الحديث إلا مع رفيقه هذا فقط وإلا فهو صامت متجهم طوال الوقت دائم التفكير كثير الصلوات.

وما أن توقف رفيقه هذا أمامه والتقت عيناهما ببعضهما حتي قال له العريف

- قد آن الأوان

ولمحنا كلنا توهج النظرات فيما بينهما وقال له رفيقه

- أنا جاهز

ومن ثم وقف بجانبه وبدأ العريف بنداء بعض الأسماء وكان من بينهم اسمي ولا ادري أهذا لسوء الحظ أم لحسن حظي وذلك لأننا نعلم قدر خطورة أي عمليه يكلف بها مثل هذا العريف ونعلم مدي جسارته وتهوره برغم ما هو ظاهر من ضعف بنيته ولكن جميع من رافقوه اخبروا انه يمتلك جسارة وتهورا لا مثيل له حتي لأنه أطلق عليه بعض الألقاب منها الصاعق أو الصقر الصامت أو الليث الهائج.

وبعد أن انتهي من سرد الأسماء أمرنا بإتباعه فنفذنا علي الفور وما أن اختلي بنا حتي قال لنا

- إننا علي وشك تنفيذ احدي المهام الجسام وأمامنا خمس دقائق للإستعداد لعمليه تستغرق لأيام ومن ثم سنتوجه لإحدى الطائرات التي ستقلنا لمكان العملية وستعلمون بتفاصيل المهمة علي الطائرة

ثم أمر العريف رفيقه بالتامين علي استعداد الجميع. وركضنا كلنا نسرع بتجهيز أنفسنا وفي خلال دقائق ثلاث كان كل واحد منا علي أهبه الاستعداد وقد كنا أربعه أفراد بالإضافة للعريف ورفيقه الذي قام بالتأمين علي إستعداداتنا وعلي الفور توجهنا إلي الطائرة وفي الطائرة كان بانتظارنا قائد الكتيبة وبجواره العريف منتصبا تحيه للقائد فانتصبنا واقفين أمامه في وقفه عسكريه فبدأ بالحديث قائلا:

- إنكم ستتجهون الآن خلف خطوط العدو لأن ساعة الانتقام قد حانت وتحدد لها ميعاد من يوم غد

وهنا لم تتمالك أنفسنا من الفرح ونسينا وقفتنا العسكريه ونظر كل واحد منا للآخر في فرح فصاح بنا العريف

- انتباه

فعدنا لوقفتنا وعيوننا تتألق من الشوق والفرح فأكمل القائد كلامه

- مهمتكم هي أن تكمنوا للأعداء وأن تبلغوا القيادة أولا بأول بتحركات العدو وإن لزم الأمر إعداد الكمائن له.

فهل انتم مستعدين لذلك ؟

صحنا جميعا في صوت واحد علي الفور

- تمام يا أفندم!!!!

فقال لنا القائد

- باركككم الله ولتعلموا أن تحركات جيشنا تعتمد عليكم

ثم وجه الكلام للعريف

- لقد أبلغت القيادة عندما أمرتني بالعملية أن لدي صقورا وليس صقرا واحدا

ثم ألقي القائد علينا التحية ثم انصرف وارتفعت بنا الطائرة لعنان السماء متوجهة لنقطه الإسقاط وبدأ العريف يشرح لنا طبيعة المنطقة التي سنهبط بها وما يتوجب علينا .

اليوم ١٩٧٣/١٠/٦

في حوالي الساعة الثانية قبل الفجر وصلت الطائرة لنقطه الإسقاط فنهضنا جميعا نحن الستة وقال لنا العريف

- جاهزون؟؟؟

اجبنا جميعا

- نعم

- علي بركه الله

ثم قال العريف بسم الله وقفز من الطائرة فأسرعنا جميعا خلفه وفي ظلام الليل وكالبوم في سكونه هبطنا بالمظلات جميعا فقام العريف بالتميم علينا فردا فردا ثم قام بإلقاء نظره فاحصه علي المكان ثم كلف ثلاثة منا علي تجهيز أماكن التمويه والتخفي بينما قام هو ورفيقه وثالث بعمليه زرع للألغام وانتهينا جميعا من ذلك قرب بزوغ الفجر ثم اتخذنا أماكننا في مخابئنا ونحن ننتظر في شوق ولهفه تأجج العالم بأخبار الملحمة التي تاقت إليها أنفسنا لسنين وبينما نحن كذلك سألت العريف قائلا

- أو ليس من ألحكمه التبليغ عن تحركات العدو بدلا من مهاجمتها حتي لا ترصد مخابئنا وهل نحن متأكدين من انه سيسلك تلك الطرق

فأجابني قائلا :

- إن أهم لحظه من لحظات العبور هي بداياته إن استطعنا تكبيل العدو وتقييد حركته بالساعات الأولي يكون لذلك اكبر الأثر في مساعده قواتنا من تثبيت أقدامها علي الضفة الشرقية للقنال أما عن مخابئنا ففي كل حال لابد وان نغيرها باستمرار حتي لا يتصيدنا العدو وقد أكدت مخابراتنا كما أنني استطلعت ذلك بنفسي سابقا أن تلك الطرق سبيلهم للإمداد .

وبدأ الفجر في البزوغ وتناوبنا الغفوة لساعة لكل فرد إلا العريف قائدنا في هذه المهمة فما غفلت عيناه للحظه وإنما ظل علي ترقبه وهو بين الحين والآخر ينظر لساعته ثم إلي الطريق وفي تمام الثانية وعشر دقائق تناهي إلي مسامعنا صوت انفجارات من بعيد وأزيز طائرات فانتبهنا جميعا واشتعلت عيوننا ومشاعرنا ونحن نتخيل إخواننا يعبرون الآن تحت نيران خط بارليف ليسطروا أروع الأمجاد

بينما أصبحت حاله العريف مهتاجة كالليث الذي طال انتظاره لفريسته إلي أن ظهرت علي الأفق طلائع إمدادات للعدو وكان واضحا من كثرتها وسرعتها اثر المفاجأة عليها وهنا صاح بنا العريف قائلا وعيناه قد احمرت احمرار الذئب الذي طال فريسته :

- هذه لحظتكم يا اسود واعلموا أن اخوانكم يعتمدون عليكم فاثبتوا ثبات المؤمنين الصادقين الذين كانوا وعلي مر التاريخ مثالا للصمود والفداء كالجبال الشامخات تحطمت علي سفوحها اعتي الجيوش فليتحطم عدوكم علي اعتاب صمودكم.

وأسرع بإبلاغ القياده بتحركات العدو طالبا الاذن بالاشتباك فاتاه الاذن لحين وصول المسانده من طائراتنا وما أن وضع سماعه اللاسلكي حتي تناول سلاحه صائحا

- (الله اكبر هاكم طريق الجنة)

وبدأ بإطلاق النيران ونحن معه وقد انتقلت إلينا حماسته لم أتوقع أن أملك مثلها وقتا ما ولكننا هجمنا علي العدو كذئاب ضارية تنهش أنيابها في جسد ضحيتها دون رحمه ومع فجاءه هجومنا بدأت أرتال العدو تتأرجح وتضطرب ومع قسوة وإحكام ضرباتنا بدأت جموعه في التشتت وهنا أتت الكمائن التي زرعها قائدنا تؤتي أكلها فقد باتت تحصد في أعدائنا حصدا وكأنه كان يقرأ مسار المعركة مسبقا ويعلم أين ستخط خطا كل فرد من أفراد العدو وبأي اتجاه ستتشتت مركباته

ووقع العدو تحت فكي ضرباتنا وألغامنا وحمي وطيس المعركة ومع ازدياد جمرتها إذ بالعريف يصيح فينا

- احموا ظاهري!!!!

وانطلق يعدوا في جرأه منقطعة النظير هابطا نحو رتل الأعداء وهو يطلق نيران سلاحه يطيح بالواحد تلو الآخر وينثر قذائفه اليدوية

لتمحو آثار المركبات من علي الأرض فهالنا ما رأيناه من تلك الجمرة المتوقدة التي بدت وكأنها حمم بركان قد سقط علي الأعداء فالتهبت نفوسنا وصاح بنا رفيق العريف بصوت هز المكان

- احكموا وشددوا يا أسود

زأرنا جميعا بصوت واحد

- الله اكبر والعزة لله ورسوله صلي الله عليه وسلم

وكأنما صار السلاح وجسدنا ككيان واحد يأبي السكون أو الراحة فاهتزت الأرض من تحت أقدام العدو وقفز رفيق العريف من مكمنه ليلحق برفيقه ولم ننتظر نحن فشددنا واحكمنا تصويباتنا وهجمنا علي العدو هجمة رجل واحد بل هجمة وحش كاسر تتحطم علي صلفته السيوف وبدأ العدو بالتراجع وهم بالفرار إلا أن طائراتنا لاحت بالأفق لتحصد البقية الباقية من عدونا .

واستمرت تلك المعركة لما يقرب من الثلاث ساعات ومع انتصارنا المجيد هذا لم نصدق أنفسنا اننا قد فعلنا نحن هذا فصحنا جميعا

- الله اكبر

وبدأت ملامح التعب إثر المجهود العنيف تظهر علينا فارتمينا علي الأرض جميعا بينما أسرع العريف قائد ألمجموعه بإبلاغ القيادة عن النتيجة وما أن أغلق اللاسلكي حتي قال لنا

- القيادة ترسل إليكم شكرها وتقديرها لما بذلتموه ولكن لا وقت للتعب الآن علينا مغادره المكان علي الفور فسرعان ما تهب علينا أعاصير طيران العدو

أسرعنا جميعا بحمل عتادنا وما غنمنا من مؤن وسلاح لنستعين به فيما سنلاقيه فيما بعد . وبالفعل بدأ طيران العدو في الظهور وأخذ يمطر المواقع التي كنا نحتلها فأسرعنا وراء قائدنا تحت هذا الوابل من النيران وتوجهنا إلي مقر جديد ووصلنا إليه مع غروب

الشمس فأسرعنا بإعداد مخابئنا وكان الموقع الجديد للأمام قليلا عن الموقع الأول وهكذا اختاره قائدنا حيث أن العدو سيتوقع إن فررنا من وابل نيرانه لن نجرؤ علي اتخاذ مواقع أماميه بل سنتراجع قليلا إلي الخلف. وما أن فرغنا من إعداد موقعنا الجديد حتي قمنا بتوزيع نباطشيات الحراسة والنوم لكي نستريح قليلا من عناء مجهود يوم حافل وشاق.

يوم ١٩٧٣/١٠/٧

قبيل شروق الشمس بقليل ظهرت تحركات للأعداء متوجهة للخطوط الأماميه فأسرع العريف بإبلاغ القيادة وما هي إلا دقائق حتي ظهر طيراننا في الأفق فاقتنصوها عن أخرها . وبعد قليل لمحنا رتل آخر من الدبابات ولكنه يسير بسرعة غير تلك التي عهدناها من الامدادات السابقه فنظرنا لقائدنا الذي امرنا بالتزام كمائننا مع اخذ كافه احتياطات التمويه والتخفي فقال احد الرفاق

- إلا نبلغ القيادة بتحرك هذا الرتل

أجابه العريف علي الفور :

- كلا فهذا شرك لنا فالعدو يشك بأن هناك من يتربص له فأرسل تلك الدبابات كطعم يتأكد به من وجودنا ومحاوله لمعرفه مكمننا وغالبا من بين تلك الدبابات أو علي القرب ما يراقب إشارات اللاسلكي وأيضا من المحتمل ظهور طائرات العدو كبير ليستطلع المكان.

وبالفعل ظهرت طائرتان للعدو تجولان بالمكان فانكمشنا بمخابئنا بينما أمر العريف رفيقه بملازمه المكان هو وأنا وآخر بينما رافق العريف اثنان آخران لوجهه لا نعلمها وظل الوضع كما هو عليه دون أي ما يريب إلا من طائرات العدو التي تحاول سبر غور المكان بحثا عنا دون فائدة وقرب غروب الشمس عاد العريف ومن معه وقد بدا عليهما التعب مع نظره الظفر بأعينهم وعندما سألنا

رفيقينا عما حدث أجابونا بأنهم تربصوا لرتل الدبابات وظلوا مرافقين له لمسافة بعيده ثم قاموا بزرع الألغام في طريقه التي أصابت الرتل في مقتل فظفرنا به وأعطينا العدو انطباعا أن مكمننا ليس هنا وإنما بالإمام وبالفعل مع حلول الليل توقف استطلاع طيران العدو.

من يوم ١٩٧٣/١٠/٨ الي ١٩٧٣/١٠/١٥

لمده أسبوع ظللنا بمكمننا نواصل إمداد القيادة بما يتم من تحركات العدو ومع كل فتره يستطلع العدو المكان بطائراته دون فائدة وفي لحظات الترقب هذه كنا نقتنص اللحظات للسمر والتحادث فكان لي فرصه الكلام مع رفيق العريف فسألته عن مدي علاقتهما فأخبرني قائلا

- أنا والعريف كنا سويا بإحدي السرايا التابعة لإحدي الكتائب في خط المواجهة وكما حدث مع الباقين أغار

العدو علي كتيبتنا بطيرانه ونحن عزل من أي غطاء جوي فقاومنا علي قدر استطاعتنا ولكن طيران العدو أخذ يقتنصنا ويبيدنا من عل ومن تبقي منا أخذت مدرعات العدو في مطاردته وظللت أنا ورفيقي هذا صامدين أمام تلك الجحافل إلي أن أصبت بقذيفة في ظهري وقدمي وأصبحت عاجزا عن الحركة وفرغت منا الذخيرة فطلبت من أخي هذا أن ينجو بنفسه ولكنه لم يتركني برغم محاولاتي معه وحملني علي كتفه وسار بي والعدو يطاردنا من مكان لآخر لمده عشره أيام إلي أن وصلنا لخطوطنا الخلفية. عشره أيام من الترقب والخوف والجوع والعطش دون أن يفكر للحظه أن يتركني برغم ما كان به من تعب وما علمته فيما بعد من جراح بجسده وأذكر في اليوم الثامن من فرارنا كيف أحاط بنا بعض جنود

الأعداء واقتادونا لمعسكرهم الصغير وكالوا لنا من العذاب واختصوا أخي بالحظ الأوفر نظرا لإصاباتي البالغة وساموه من ألوان التنكيل الكثير حتي أن جسده لا تنمحي من عليه آثار ذلك إلي أن عثروا بداخل جيبه علي مصحف فهموا بتمزيقه ودهسه بأقدامهم نكاية فينا هنا قطعت صدورنا صرخة مدوية وفجأه دبت قوه لا نظير لها في جسد رفيقي حتي لأنه جذب أربعه من الأوغاد يكبلونه واستولي علي سلاح أحدهم وأعمل فيهم التقتيل إلي أن أبادهم عن آخرهم ثم عاد إلي وحملني واستكمل طريقه برغم مناشدتي الحارة له بان يدعني لمصيري ولكنه أبي وهكذا لن نفترق أبدا فقد أصبحت بيننا عري أخوه لا تنفصم وانتظر اليوم الذي أفديه هو بحياتي وكلكم تخشونه وتحسبونه من أغلظ القلوب

وتتحاشون التعامل معه أو لم تتح لكم الفرصه ولكني أشهد الله علي طيب قلبه ولين مشاعره وحسن خلقه ولكن ما ترونه ظاهرا عليه فهو نتاج لما رأيناه من مهان وما أصابه هو شخصيا في حياته من صدمات حتي لأنه يحس نفسه غريبا عن هذه الدنيا .

وهكذا مرت السبع أيام إلي أن كان يوم الخامس عشر من أكتوبر حيث ضج العدو من تحركاته التي تندحر الواحد تلو الأخر وصمم علي العثور علي المتسبب بهذا ويأس من فائدة استطلاع طيرانه فأضاف إليه كتيبه من المشاة التكتيكيه مهمتها تمشيط المنطقة عن آخرها شبرا شبرا وهنا أصبح الصدام محتوما فأمرنا العريف بالاستعداد وأعد خطه الصدام فقمنا بسرعه بإعداد الكمائن وما أن اقتربت قوات العدو منا حتي صاح قائدنا بصوت هز المنطقه

- (الله اكبر)

وأمطر العدو بنيرانه وعلي الفور صحنا ورائه ممطرين العدو بنيراننا - (الله اكبر)

بهت جنود العدو وأجفلوا ومع جفلتهم بدأت كمائننا بحصدهم وما هي إلا قليل حتي أبدناهم عن آخرهم فأمرنا العريف بسرعة التجهز لإخلاء المكان فأخلينا الموقع في سرعه ولكن طائرات العدو كانت قد التقطتنا وأخذت في مطاردتنا فأسرع العريف بإبلاغ القياده عن انكشاف مكمننا وأن العدو يطاردنا بطيرانه.

وأخذ العريف يقودنا بين الجبال حتي نتجنب ضربات طيران العدو واستطعنا أن نتجنب مشاهده الطيران لنا ومع غروب الشمس وصلنا لموقع معين في حضن أحد سفوح الجبال نتحصن به من مراقبه طيران العدو ونستطلع المكان من عل.

اليوم ١٩٧٣/١٠/١٦

قرر العدو إمطار المنطقة التي ضاع فيها أثرنا منه بنيران المدفعية فأخذت مدفعيه العدو تهز الأرض والجبال من حولنا وطائراته تمشط المنطقة وتمطر المكان من فوق بقنابلها . وحدث أن سقطت احدي القذائف بالقرب من المكان فقذفتني للخلف وسقطت مني مذكراتي هذه فالتقطها رفيق العريف وجال فيها بعيناه سريعا ثم قال لي معنفا :

- أجننت أنت؟؟؟؟؟ أوتكتب مذكرات عما يحدث؟؟؟ ألا تعلم أن هذا يعد من الأسرار العسكرية وأنه من المحتمل أن تقع أسري بيد العدو ويعلم ما بمذكراتك؟؟؟؟

وتوقفت الكلمات في حلقي فلم أجد ما أرد به وأنا أعلم صحة كلامه وعظم ما اقترفت من خطأ وتوقعت المزيد والمزيد من قائدنا العريف وما سأصاب به من وابل التوبيخ منه.

ولكن علي العكس فقد مد العريف يده بهدوء ليناوله رفيقه المذكرات ثم قال لي في نبره هادئة استغربتها كما استغربها الجميع :

- كما تعلم أن كل كلمه من كلامه صحيحة!!!

ثم ناولني المذكرات قائلا لي

- سأتركك أنت لتتخلص من تلك الورقات.

ثم وجه كلامه للجميع

- أما الآن لنستعد فأنا أخشي أن لكثره ضربات العدو هذا مغزي وهدف فلنفتح أعيننا جيدا .

وبالفعل صدق حدس العريف ومع الظهر خفت حده قذائف العدو ويبدوا أنه نظرا لسوء وضع قواته علي خطوط المجابهة قام

بتجهيز خط إمدادات جديد من العتاد والقوه ما يخشي منه لو تخطي موقعنا قيد أنمله فأسرع العريف بإبلاغ القيادة التي أبلغته أن الطيران سيتأخر قليلا فطلب العريف علي الفور الإذن بالاشتباك كي يعطل حركه العدو لحين وصول طائراتنا فأعطته القيادة الإذن بالتصرف تبعا لمقتضيات الوضع وحسبما يترائي له تاركين له حرية تقييم الوضع وهنا أمرنا قائدنا العريف بالاشتباك فانهلنا علي الأعداء بنيراننا وانكشف موقعنا للمرة الثانية فأخذ العدو يبادلنا نيرانا كثيفة وطائراته تمطرنا من فوق ولكننا صمدنا معتمدين علي تحصن موقعنا الطبيعي وعلوه وفجأة سقطت قذيفة بالقرب من أحدنا والذي يحمل اللاسلكي معه فطرحته أرضا وقد فارق الحياة وأصيب اللاسلكي بالعطب وهكذا سقط أول شهيد لنا ووسط كل هذا أدهشنا العريف بطلب غريب ظننا معه كلنا أن به مس من جنون فقد أمر أحدنا قائلا

- احمله بسرعة لداخل الكهف الذي نتحصن به واحرص علي يكون مستمرا بالإمساك بسلاحه

نظرنا لبعضنا في دهشة ولكنه هتف بنا قائلا

- استمروا بقتالكم

استمررنا بالقتال لما يقرب من ربع الساعة ثم ظهر طيراننا ليدحر تلك القوات ثم يعود أدراجه وبعد انتهاء تلك المعركة هم العريف باستطلاع اللاسلكي همزه الوصل والربط بيننا وبين القيادة ولكن دون فائدة فأمرنا بسرعة إخلاء المكان وأمر اثنان منا بحمل رفيقنا الشهيد والمحافظة علي أن يكون بسلاحه دوما وتحركنا علي الفور ولكن يبدوا أن العدو قد صمم علي عدم فقد أثرنا فأرسل في أثرنا قوات خاصة لتتبعنا نحن والقضاء علينا وبدأت مطارده للأعداء لنا .

اليوم ١٩٧٣/١٠/١٧

ما زال العدو في أثرنا ونحن لا نستطيع طلب النجده والدعم الجوي من القياده بعد تعطل اللاسلكي واقتربت منا قوات العدو المطارده لنا ويبدوا وكأنهم أعدو عده خاصة وجيشا مخصصا فقط لمقاتلتنا فقد وصلت تعزيزات من قوات العدو ووجدنا أنفسنا وقد أحاط بنا العدو وانهال علينا بنيرانه فصاح بنا قائدنا

- اثبتوا يا رجال

وانطلق يطلق نيرانه وكأنه يحمل بين جنباته مائةنفس لا نفس واحده وأثرت حميته تلك فينا أيما تأثير فصرنا كالوحوش الضارية ولكن كثره الأعداء كانت واضحة ومن الواضح انه مازال في مددهم الكثير وكأنهم ما فتئوا وجدونا بين ايديهم .

ووسط كل هذا كان أسدنا القائد يصول ويجول والله الذي لا إله إلا هو وكأنني أراه علي صهوة جواد ينطلق بيننا مؤزرا ومشجعا ثم

ما نلبث أن نجده وسط الأعداء يفرغ خزانه سلاحه بهم ثم يعود شاقا طريقه عبر جموعهم بسلاحه الأبيض ومع تكتل الأعداء علينا بدأ العريف يدير ناظريه بالمكان فإذ بالعدو يحيط بنا من الأمام واليمين واليسار وقد جعلنا ظاهرنا لأحد الجبال فنظر إلي الأعلى فلمح بالعلو أحد الكهوف فصاح برفيقه

- خذ الجميع إلي الأعلى حيث هذا الكهف بسرعة وأنا سأحمي ظهوركم حتى تصلوا

انطلقنا جميعا نحو الكهف ونحن نحمل أخينا الشهيد وما أن وصلنا حتى اتخذنا مواقع دفاعيه علي باب الكهف وهنا صحنا جميعا بالعريف

- الآن .....هيا.....!

فانطلق العريف ورصاص الأعداء يطارده يأملون أن ينالوا منه قبل بلوغه الكهف ولكنه وصل أخيرا ولكن مع بعض الإصابات في كتفه

وذراعه الأيسر وهم رفيقه بالاطمئنان عليه فأشار إليه أنه بخير وإنما هي إصابات سطحيه ثم قام بتمزيق ذراع سترته وربط بها جراحه ثم اتخذ مكانه بيننا .

وهكذا بعدما كاد أن ينال العدو منا كان لكهفنا الذي تحصنا به أثر في صمودنا ووجد العدو صعوبة في نيلنا مع علو موقعنا الجديد وكانت كلما همت أفراده بالصعود إلينا كنا نردهم علي أعقابهم بعد أن نبيد معظمهم ولكن كان إصرار العدو واضحا في القضاء علينا فاستمر النزال والتناوش فيما بيننا طوال اليوم وجن علينا الليل ولكن النيران لم تهدأ لثانيه واحده.

اليوم ١٨/١٠/١٩٧٣

مع بزوغ فجر هذا اليوم هم العدو بالهجوم علينا في محاوله للقضاء علينا مبتدئا بقذف مركز من قبل طائراته ثم بدأت قوات ضخمه بالصعود إلينا وبدأنا ننهال عليهم بنيراننا فردوا علينا بالمثل وبدا

جليا إصرارهم والأوامر المشددة بالتخلص منا ولكننا صمدنا صمود الصادقين الراغبين في الشهادة أكثر من رغبتنا في الحياة وزئير قائد مجموعتنا يدوي فيما بيننا فنزأر جميعا ورائه بصيحات التكبير(الله اكبـــر) نزلزل بها الأرض من تحت أقدام الأعداء .

واستمر القتال فيما يقرب من الساعات الثلاث وأيقن العدو مع كثره قتلاه أنه لا يلين لنا جانب وأنه ما زال في جعبة صمودنا ما يخشاه ولم يجد بدا من الانحسار عن الجبل قبل أن تباد البقية الباقية من الصاعدين. وهنا صحنا جميعا صيحة النصر والعزة . . . . .(الله أكبـــــر)

ولكن قياده العدو لم تأبه بخسائرها وهان عليها ذلك في سبيل القضاء علي تلك الشوكه التي تؤرق قواته من الخلف فوصلت للأعداء امدادات جديدة مع ظهر هذا اليوم وفور وصولها هم بالهجوم من جديد علينا ولكننا وكما سبق رددناهم علي أعقابهم

خاسرين. واستمرت المناوشات من بعيد نحن من أعلي والعدو من الأسفل. وأيقن العدو من صعوبة صعوده إلينا فقرر الهبوط بدلا من الصعود. . . . !

فقرب غروب الشمس إذ بطائرات العدو تملأ الأرجاء وبدأت أفراد مظلاته بالهبوط علينا من السماء وهنا صاح العريف

- . . .(الله اكبر) . . . .

فصحنا نحن من ورائه وبدأنا في اصطياد المظليين من الأعداء فأصبنا عددا منهم وهبط البعض علي الأرض وما أن لامست قدمهم الأرض حتي اشتبكنا معهم في ضراوة واحتدم القتال وبدأت جموع العدو التي بأسفل الجبل في الصعود مستغله انشغالنا بالمظليين وبدأ موقفنا في التأزم هنا نهض العريف من مكمنه وألقي بنفسه وسط جموع المظليين وهو يزأر وأطلق لسلاحه العنان وبدأ بإلقاء قنابله اليدوية في سخاء محكم وهو يشدوا بالابيات الآتيه

موطني

ما أحوجني للتعطر بتراب قرباك . . . وقد تعطرت الدنيا بعطراك

ماأحوجني للبوح بحباك . . لأعلن للملأ كم سري بأوصالي عشقي

لإياك

ما أحوجني لإكسير حباك. . لأستقوي دائما وأفخر بديني وإنتمائي

لإياك

ما أحوجني للسهر علي حماك. .وقد سرت في كياني الخيلاء

لحماك

وما هي إلا دقائق وكنا قد تخلصنا من المظليين ولكن الجموع

القادمة من أسفل قد اعتلت الجبل وحملت علينا في شده فصاح

بنا قائدنا قائلا:

- ادفعوهم بما أوتيتم من قوه إلي أسفل واحملوا عليهم

وصاح مدويا

- (الله أكبـــر)

وقذف بنفسه عليهم وهو يستطرد شاديا

وما أحوجني للموت وأنا أدرء عن حماك . . وقد سمت أرواحنا برضا الرسول والرحمن

أحبك وأعشقك وأهواك . . فأنت ديني وموطني ولا أهوي إلا سواك

ألقينا بأنفسنا بالمثل علي العدو الذي بهت للحظات من انقضاضتنا هذه تلك اللحظات التي كانت كافيه لنستلم زمام المبادره من جديد والتحمنا بهم ندفعهم دفعا الي اسفل الجبل والتمعت النيران وتوهجت فيما بيننا وحمي وطيس النزال وبدأت الجراح تظهر فيما بيننا وفقدنا أحدنا فقد أصابته نيران الأعداء وبعد قليل أيقن العدو مره أخري بعجزه وفشله أمام إصرارنا وبدأت جموعه تندحر وأفراده يولون الأدبار خشيه الموت.

وهنا أمرنا العريف بالعودة إلي مواقعنا علي أعتاب الكهف فعدنا ونحن نحمل شهيدنا الثاني وأصبحنا أربع أفراد من أصل ستة (العريف ورفيقه وأنا ورفيق رابع) وكما فعلنا بشهيدنا الأول فعلنا مع الثاني أسلمناه ببطن الكهف ممسكا بسلاحه.

وعاد طيران العدو للظهور يقذفنا بما لديه فالتزمنا كمائننا منتبهين لتحركات العدو من أسفل الجبل وبدا جليا أمارات الإستياء في وجه العريف وهو يطالع العدو في الأسفل والطائرات من أعلي وقد أخذه الفكر. فملت علي رفيقه مستفسرا عما به فأجابني قائلا

- لا ادري بالضبط ولكن من معرفتي به أجزم أن استيائه من التزامنا دوما موقف المدافعين وأغلب ظني أنه يفكر في أمر ما يغير به وتيرة الدفاع تلك.

وبالفعل فبعد قليل التفت إلينا العريف وبعينيه نظره جديدة ولمعان عرفه رفيقه علي الفور وقبل أن ينبس بكلمه قال له

- أنا معك.

فرد عليه العريف

- سأستغل ثقة العدو بنفسه واعتماده علي عدم تفكيرنا بالهجوم حاليا بعد تلك الهجمة وأغير عليه كي ننال منه فعلي الأقل نخفف علينا هجماته قليلا

أعاد رفيقه عليه القول

- أنا معك

فأجابه قائلا:

- حسنا . .فليبق اثنان ولينتبهوا ليغطوا تراجعنا .

وهكذا بقيت أنا والرفيق الرابع بينما انسل العريف ورفيقه في صمت وخفه الفهود حتى وصلوا لمعسكر العدو وتسللوا إليه مستخدمين السلاح الأبيض وفجأة هز المكان دوي شديد وبدأت

النيران تشتعل في الأسفل فقد أصاب رفيقانا مخازن الأعداء وظهر الاثنان والعدو يطاردهم بنيرانه وهنا صحنا

- (الله اكبر)

وبدأنا في رد الأعداء وتغطيه إنسحاب العريف ورفيقه ولكن الأعداء مع كثرتهم نالوا من الرفيق فقد أطاحت بالإثنان قنبلة يدوية ألقاها الأعداء عليهم وما أن نهضا حتى أصاب الأعداء الرفيق في صدره فطلب من صديقه العريف قائلا

- أتركني وعد إلي الكهف بسرعة لا تأبه لي
- هذا لن يكون ولكني آمرك بان تحتفظ بسلاحك وإلتزام الصمت .

وحمل العريف رفيقه وهم بالصعود به إلي الكهف ونيران العدو تطارده في ضراوة ونحن بما أوتينا من قوه نرد علي الأعداء لنغطي عودتهما والعريف بين الحين والآخر يرد علي الأعداء نيرانا بنيران.

واقترب الاثنان منا وشارفوا علي الوصول وفجأة اصابت العريف رصاصه في ساقه فوقع بجمله علي الارض فصحت في سرعه في رفيقي

- غطني

ووثبت إليهما وحملت رفيق العريف بينما واصل العريف طريقه زحفا وأخيرا وصلنا للكهف وعلي الفور شرعنا في الاطمئنان علي رفيق العريف ولكن إصابته كانت في مقتل وكان في الرمق الاخير فصاح به العريف في جزع ففتح عينيه في تثاقل وامسك يمين العريف بيمينه قائلا:

- لتعلم انه كان من حظي أن حظيت برفقتك واشهد الله علي قدر محبتي إليك

ثم لفظ بالشهادتين وأسلم روحه لله. وهنا مال عليه العريف مقبلا لجبينه قائلا له

- وأنا اشهد الله علي أنك كنت نعم الأخ ونعم الرفيق

ثم صاح بالسلاح وهو يجعله في حضنه كعادته مع الآخرين

- ولتكن أيها السلاح شهيدا علي صدق شهادته ولا نزكي علي الله احدا .

وهنا أدركنا المغزى من إصرار العريف علي أن يلتزم قتلانا بسلاحهم فقد أراد أن يُبعث كل منا بسلاحه ليكون شاهدا له علي شهادته.

ثم نفض العريف عن نفسه الحزن وقام بربط إصابة ساقه والتزم مكانا وسطنا علي باب الكهف وكما خطط له العريف فقد كان لهجمتهم تلك علي الأعداء في أن تتوقف هجماتهم علينا بقيه اليوم وسنحت لنا الفرصة بأن نلتقط بعض أنفاسنا نحن الثلاثة الباقين من أصل ستة أفراد وبينما نحن نراقب الأعداء بدأنا في تبادل أطراف الحديث وقد قربت بيننا المحن التي مررنا بها وأزالت

حاجز الرهبة الذي كان بيننا وبين العريف فيما سبق ووجدت نفسي أسأله

- ألست متزوجا ؟ ؟ ؟ ؟

فنظر لي في دهشة قائلا:

- لما هذا السؤال ؟

- تلك الضراوة التي تقاتل بها الأعداء جعلتني أتسائل مع نفسي عن ذلك ؟

بدلا من أن يجيبني سألني ثانيه

- أو لو كانت لك أخت أكنت تزوجني إياها علي ما رأيتني عليه ؟ ؟ ؟

فأجبته قائلا:

- أصدقك القول في البداية أخشي عليها منك ولكني الآن وبعد مصاحبتي لإياك وبعد كل ما مررنا به معا أخبرك إنه ليشرفني أن لو كان لي أخت أن أزفها إليك.

وهنا أجابني عن سؤالي وعلي شفتيه ابتسامه تجمع ما بين السخرية واليأس

- وبالمثل الآخرين يخشون من أمثالي.

ووجدت في نفسي الجرأة لأسأله

- أو لم تجذبك أي فتاه وقعت في حبها من قبل؟؟؟؟

ويبدوا وكأنني أصبت هدفا بسؤالي فقد شرد العريف في إجابة سؤالي وزفر زفره حارة فأعدت عليه سؤالي مره اخري فتنهد قائلا:

- مره واحده

عندئذ أصررت عليه أن يقص علي فأجابني وفي عينيه نفس النظره المنكسرة التي عهدناها عليه بعد النكسة

- لقد تعلق قلبي بإحدى زميلاتي بالعمل وبدأنا نتعلق ببعضنا وينكسر الحاجز فيما بيننا وقمت بطلبها للزواج ولكنها ترددت وآثرت تأجيل الرد لفترة ومع مرور الوقت وأنا ألح عليها مذكرا إياها بأن عمرنا يكاد ينطوي ولكنها ظلت علي ترددها ومع الوقت أحسست بأني افرض نفسي عليها وبدأت تنطفئ في نفسي شمعه السعادة بلقاء من أحببت وداخلني شعور بأنني في موضع مقارنه مع آخرين وأن توجسها مني وخوفها من تديني وغيرتي عليها يقلل من قيمتي عندها .وفي النهاية لم أرد أن أثقل بنفسي عليها أكثر من ذلك وأحسست أن أي كلام بعد ذلك يعد

تطفلا مني وسوء أدب مني فتركتها علي رغبتها تقرر مع نفسها وحدث ما حدث وقامت الحرب وهأنذا بينكم .

ثم زفر مره اخري وشرد وهمس قائلا:

- لكم أوحشتني نظره عينيها .لكم كنت اشتهي عبير قربها ومن بعد فراقها ما تنسم انفي عبيرا قط. وكم كنت اتمني أن اشاركها رشفه شراب من ماء أو خلافه ومن حينها لم يرتوي حلقي مطلقا .ولكم كنت أتمني يوما أن أهمس إليها بخالص أشواقي ومن بعدها اعتزلت الكلام فتجدني اغلب وقتي صامتا .وكم كنت أتمني دفء قلبها ومن بعد إعراضها ما أحسست أمانا قط فوجدتني غريبا في هذه الدنيا .

ثم سكت العريف وأشفقت عليه من هول ما رأيت من حاله وكأنه فجأة شاب في العمر إلي الستين. ثم قام بتغيير دفه الحديث قائلا:

- دعك من هذا فلننتبه فما ينتظرنا من الأعداء كثير وأغلب ظني أنهم سيحاولون شيئا جديدا .

اليوم ١٩٧٣/١٠/١٩

صدق حدس العريف فقبل بزوغ الفجر انقلب سكون المكان إلي هياج مدوي فقد حاول العدو بالفعل شيئا جديدا فقد أيقن من عدم مواجهتنا وجها لوجه فقرر دك الجبل بمن فيه فقام بإرسال مدد من المدفعية والدبابات قلبت سكون المكان وملأ طيرانه الجو وأمطرنا بقذائفه من الجو وفي البداية أمرنا العريف بالانتباه لإحتماليه أن يستغل جنود العدو غطاء القذف هذا في الصعود إلينا ولكن مر الوقت دون أن تظهر لجنود العدو أي بادره حركه وهنا قال العريف :

- هكذا الأمر إذن!

نظرت إليه في تساؤل فأكمل قائلا:

- يبدوا أن عدونا قد يأس منا وقرر دفننا ببطن الجبل. ولكن هيهات فلن يكون دفننا بهذه السهوله

ثم استطرد صائحا فينا

- انتبهوا لحين عودتي

وقفز حاملا آر بي جيه هابطا الجبل لا يأبه بقذائف العدو التي تهبط بكل مكان من حوله ونحن نتابعه بأعيننا ثم ما لبث أن اطلق أولي قذائفه ليطيح بإحدى الدبابات فصحنا جميعا

- (الله اكبر) سلمت يمينك

واتبع العريف ذلك بالثانية ثم الثالثة وهو يعبئ سلاحه ويغير مكانه في سرعه وأحس فصيل دبابات العدو بالخطر فقاموا بمطارده العريف الذي عاد أدراجه صاعدا للجبل ومن ورائه بعض أفراد العدو فقمنا أنا ورفيقي من كهفنا باقتناصهم وتغطيه تراجع قائدنا غير آبهين بقذائف العدو التي من حولنا بعدما انضم فصيل جديد

من دبابات العدو وتحول قذف الأعداء لنا إلي جحيم ووابل لا ينقطع من القذائف وقفز العريف قفزه عاليه تجاوز بها عده أمتار وهو يلف جسده ليواجه الأعداء وذهلت أنا ورفيقي عندما رأيناه في قفزته تلك قد أطلق قذيفة آر بي جيه وأصاب بها بالفعل إحدي الدبابات فصحنا

- (الله أكبر. . الله أكبر)

ولم ننتبه لما يقذف علينا وفجأة سقطت قذيفة في طريق العريف أطاحت به إلي الخلف وسقطت أخري في الاتجاه المضاد لتقذفه عكسا وهو في الهواء ليسقط علي الارض علي بعد متران من الكهف وقد بدا جليا إصابته فهم رفيقنا الثالث في سرعه ليساعده ولكن العريف رفع رأسه وصاح به في سرعه

- لا تبرح مكانك

ولكن رفيقنا لم ينتبه لكلامه وهبطت قذيفة لتقذف به هو الآخر في شده إلي الوراء فتحامل العريف علي نفسه وركض وسط جنون القذف هذا لينتشل رفيقنا الملقي علي الأرض ويعود به للكهف وعندما حاولنا إفاقته وجدناه قد أسلم روحه لله وهكذا سقط رابع شهدائنا ولا نزكي علي الله أحدا وصرنا فردين فقط من أصل سريه قوامها ستة أفراد . أحدنا تملأ جسده الجراح بينما زاد تركيز قذف مدفعيه ودبابات وطائرات العدو علينا طوال باقي اليوم.

اليوم ١٩٧٣/١٠/٢٠

مازلنا في مخبئنا والعدو لا تنقطع قذائفه وقد احكم تركيزه علي باب الكهف بغيه دفننا بداخله وقال لي العريف متسائلا

- أما زلت تكتب مذكراتك

فاجأني السؤال فتلجلجت في الرد فأجاب عني

- أعلم أنك كنت تفعل وما أريده منك الآن هو أن تعبر بتلك المذكرات فقد لمحت بالأمس دربا يستطيع أحدنا أن يسلكه ليهرب من هنا

ثم نظر لإخواننا الممددين داخل الكهف وقال

- يعز علي أن تضيع شهادة إخواني هؤلاء دون أن يعلم ذويهم بما افردوه من شجاعة وإقدام صادق لله تعالي .

بالطبع اعترضت بشده علي طلبه هذا وطلبت أن امكث أنا ويهرب هو بالمذكرات ولكنه قال لي:

- إن جراحي قد تعيقني عن الوصول لبر الأمان وانظر إلي إخوانك أتبغي أن يضيع صمودهم سدي؟؟؟

وتحت الحاحه رضخت لمطلبه فقال لي وهو يمتشق سلاحه

- وأنا من ناحيتي سأجعل عيون الأعداء في مكامنها

وبدأ العريف في اقتناص جنود الأعداء فوالله ما أخفق في طلقه أطلقها .وهأنذا في طريقي بعدما تسللت من الثغره التي حددها لي العريف وصوت دوي المدافع يدوي من خلفي في جنون زائد في محاوله لوقف اقتناص العريف لأفراده ولكن. . . . . .

أأكون أنا الوحيد الخاسر من بين هؤلاء ؟؟؟؟ ثم عدلت وجهتي وتسارعت خطواتي نحو الكهف فان كان مقدرا لذوينا معرفه ما بذلناه من أرواحنا رخيصة في سبيل ديننا ووطننا فالله أقدر وأعز علي أن يبلغهم بأي سبيل كان.

واقتربت من الكهف واتضح لي الجنون المطبق فقذائف العدو لا تنقطع ولو لثانيه عن باب الكهف وبدأ الكهف بالتصدع بالفعل وفجأة سقطت قذيفة مباشره علي باب الكهف ولمحت جسد العريف يطاح به إلي داخل الكهف فأسرعت اليه وهالني المنظر فقد بترت القذيفة ساقه وملأت جسده بالجراح وبرغم ذلك رأيته

يزحف بسلاحه نحو باب الكهف فأسرعت بإسناده فقال لي والكلام يخرج بالكاد من حلقه مختلطا بالدم المترب:

- لما رجعت؟؟؟

فأجبته قائلا

- الله خير حافظا وهو خير المبلغين وخير الشاهدين

ولست بأقل من إخواني هؤلاء ولا أحق منهم بالحياة

ابتسم في تثاقل وبدأت انفاسه تتباطأ ولكنه برغم كل ذلك وما هو جلي بأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة استلم سلاحه ووجهه صوب الأعداء مقتنصا اياهم وأنا معه ووجدته يقول

- سأنال منك أيها الوغد

وجهت سلاحي أنا الآخر صوب تلك النقطه التي يصوب عليها فلمحت أحد ضباط العدو ويبدوا أنه قائدهم لما يمليه عليهم من

أوامر ورأيته يستتر خلف إحدي الدبابات فأعاد العريف كلامه قائلا

- لمحه خفيفة منك وأنالك ايها الوغد .

وسبحان الله فقد حانت من ذلك الوغد التفاته خفيفة وبرز جزء طفيف جدا من رأسه وهو يستطلع المكان ليلقي أوامره وحاولت أنا التصويب عليه ولكن لم أستطع فقد كان الوغد حذرا في التفاته ولكن العريف قال:

- يكفيني ذلك منك

وصاح بالشهادتين وأطلق النار وبالفعل أصابه في مقتل ومع مقتل تلك الرتبه الكبيره من الأعداء زاد حنقهم فأمطروا الكهف بوابل من القذائف سقطت اثنتان منهم مباشره علينا فأطاحت بي والعريف في قوه وحتى أنها سدت علينا باب الكهف وبعد قليل فتحت عيناي وأنا أحس بتمزق أشلاء جسدي وتحت بصيص من

النور ينبثق من الشقوق التي بين الأحجار التي تسد علينا الكهف

حاولت الزحف تجاه العريف الذي كان ممدا علي مقربه مني

وبالكاد وصلت إليه لأجده قد فارق الحياة وأسلم روحه لله

ليلحق بباقي رفاقنا .

قبلت جبينه وقلت وأنا اقاوم جراحي وتمزق جسدي

- والله الذي لا إله إلا هو لكان من الشرف لي أن أقاتل إلي جوارك.

وصك مسامعي وابل قذائف العدو الذي مازال مستمرا في دك الكهف ولمحت العريف ويداه مكبلتان حول سلاحه فانتبهت :

- أين سلاحي؟؟؟ أين سلاحي؟؟؟؟ هاهو ذا .

أزحف إليه .جسدي يكاد يتمزق لا أدري أأصل إلي سلاحي أم لا. . . . إليَّ سلاحي . . . .إليَّ سلاحي. .

وأخيرا (أشهد أن لا إله إلا الله . . وأشهد أن محمدا رسول الله)

وهنا طوي المهندس أخر صفحه من تلك المذكرات ولم يتمالك نفسه فسالت العبرات من عينيه قائلا في نفسه :

- أرجو أن نستحق تلك التضحية ! ! ! ! !

ووصل العقيد قائد اللواء في صباح اليوم التالي من أجل المذكرات فقدمها إليه المهندس قائلا له

- لك أن تفخر يا سيدي بأمثال هؤلاء

أجابه العقيد قائلا:

- ومن قال لك أني لست كذلك . أو تحسبنا كنا بحاجه لتلك الوريقات لنعلم عنهم. حتي وقبل معرفتنا بما حدث لهم كنا نفخر بهم لأننا كنا علي ثقة بهم ونعلم جيدا أنهم صدقوا ما عاهدوا الله عز وجل عليه ولست بحاجه لقرائه تلك المذكرات وإنما هي ستكون من ضمن سجلات الكتيبه التي كانوا بها لتكون شاهدا أمام القادمين الجدد

علي صلابة وعزم أقدمهم وكذلك ليعلم أهليهم مدي تضحية وفداء ذويهم.

ثم حياه وتوجه الي طائرته وارتفعت به الطائره بالسماء والمهندس يتابعها بعيناه ثم جال ببصره بالمكان قائلا في نفسه

- كم ارتوت أوطاننا من دماء زكيه فسبحان الله ولا إله إلا الله محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

تمـــت بحمـــد اللـــه

ما نشر من أعمالنا

* لوزه قطن وسريه موت . . . . . دار الكتب للنشر

انتظروا جديد اعمالنا

* الرحـيل الأخـير * أحـلام تحت أطلال البنفسج

* متي نلتقـي

و. . . . . .

* كهـف هـديل

يسعدنا معرفه آرائكم ومتابعه أعمالنا علي صفحتنا علي الفيس بوك . . . . . صفحه الكاتب/ وائل قاسم دريهم

أو علي الإميل . . . . . w.writer73@yahoo.com

مع تحياتي

م/ وائل قاسم دريهم